علم السيمياء "Sémiologie"

تم اختيار هذا المصطلح دون غيره مما كثر وشاع في هذا المجال؛ كعلم العلامات, وعلم المعنى, وعلم الأدلة, وعلم الأعاريض, , والسيميولوجية والسيميولوجيا, والسيميوطيقا والسيمانتيك وغيرها, لوجود أصول لغوية لهذا المصطلح في العربية وفي القرآن وفي المعاجم اللغوية العربية, تمكّن من اشتقاق صيغ لغوية مختلفة, كما أن كلمة سيمياء في تفسيرها اللغوي تعني العلامة، ولشموله وتفرده؛ للدلالة على مقاصد هذا العلم وما يتناوله, ووجود استعمالات له عند القدماء من العرب, ويفضله الكثير من الباحثين اليوم.

فمن ذلك ما جاء في القرآن الكريم ولاشك أن دراسة العلامات هي أحد أهم مجالات ما جاء به هذا العلم.

وما ورد عند "ابن خلدون": عن علم أسرار الحروف" وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا. نُقِل وضعه من الطلسمات فحدث لذلك علم أسرار الحروف, وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضعه ولا تحاط بالعدد مسائله. وقد تعددت فيه تآليف البوْني وابن العربي وغيرهما", في علم السيمياء.

ويرتبط هذا العلم بالشعوذة والكيمياء "عند "ابن سينا" ويقصد به كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي؛ ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب... ومنه ما هو مرتب على الحيل الروحانية والآلات المصنوعة... ومنه ما هو مرتب على خفة اليد وسرعة الحركة ولكن الطرح ولكن الطرح العلمي لا يتعلق بما جاء عند علماء العرب القدامى "كابن سينا" و"ابن خلدون"، ولكن بكيفية دراسة هذا العلم للغة, وصلته بالمنطق, وتصوره للسرد, وتناوله للدلالة ومفهومه للثقافة.

نشأة علم السيمياء:

يرجع الكثير من الباحثين نشأة هذا العلم إلى اليونانيين من خلال اهتمامهم بقضية الدلالة والتأويل، لكن الملاحظ على تلك الدراسات أنها لم تكن خاصة بهذا العلم, كما أنها لم تكن مؤصلة تأصيلا علميا دقيقا؛ بل كان ضمن طروحات أخرى كالشعر, والخطابة والبلاغة والدلالة, وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة كمصطلح علمي له علاقة بعلم الأعراض المرضية "Symptomologie" سنة 1765م.

أما في مجال الدراسات الفلسفية واللغوية؛ فإن علم السيمياء ظهر مع الفيلسوف الأمريكي "شارل سندرس بيرس" C. S. Peirce, واللساني "ف. دو سوسير" F.De Saussure, كما تم الفصل أيضا في أسبقية "بيرس" عن "دو سوسير" في هذا المجال؛ وقد بين "جيرار دو لودال" G. De Ledalle هذه الأسبقية واعتبرها أمرا لا يناقش.

كما أنه لا يجب المماثلة بين الباحثين، فالأول كان باحثا في علم السيمياء، وكان الثاني لسانيا ومبشرا بهذا العلم في كتابه "محاضرات في الألسنة العامة", يقول: " سيولد وسيكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، سنحتفظ بعلم يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية... سنسميه علم السيمياء الذي سوف يعرفنا مما تتكون العلامات؛ وما هي القوانين التي تحكمها, وهو غير موجود لحد الآن" وفي موضع آخر يشير "دو سوسير" إلى أن هذا العلم سيرتبط باللسانيات فهي" ليست إلا جزءا من هذا العلم العام, والقوانين التي ستكتشفها السيميائية ستطبق على اللسانيات", ومن هنا فهو يحاول أن يؤسس لبعض مبادئ هذا العلم.

وإذا كان علم السيمياء قد ارتبط عند "دو سوسير" بعلم النفس العام؛ فإنه عند "بيرس" يتصل بعلم المنطق، ومع هذين الباحثين كانت البدايات الحقيقية لهذا العلم، وكان التأسيس الخاص له، لتتكاثر البحوث فيه وتتعدد الدراسات والمدارس؛ والتي سوف يتم التركيز منها على ما يلي: